عمارة المغرب الإسلامي – محاضرة 1

* حدود بلاد المغرب:

أطلق المؤرخون والجغرافيون العرب على بلاد شمال إفريقيا اسم بلاد المغرب، وذلك لوقوعها في الجهة الغربية من حواضر الخلافة الإسلامية في المدينة ودمشق وبغداد، وكان يسكن هذه البلاد عند الفتح الإسلامي لها قبائل البربر الذين كانوا ينقسمون إلى البرانس، وهم سكان المدن، وقد سموا بهذه التسمية نظرا لأنهم كانوا يلبسون الرنوس الذي يغطي الجسم بكامله بما فيه الرأس، أما القسم الآخر فهم البتر، وهم سكان سفوح الجبال والصحراء.

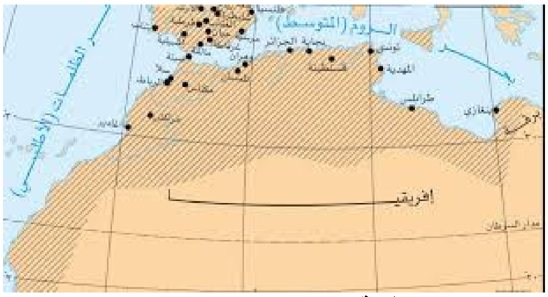

الخريط رقم 01: بلاد المغرب الإسلامي

كانت هذه البلاد تخضع للدولة البيزنطية، وبالتالي فإنه بالإضافة إلى قبائل البربر كانت توجد جماعات من الرومان، ومجموعات من سكان دول أوربية أخرى وخاصة بلاد البحر المتوسط، وكان البربر وثنيون، أما الأوربيون فكانوا يدينون بالمسيحية، كما كانت توجد أعداد كبيرة من اليهود يعملون بالتجارة والربا.

وجد العرب صعوبات جمة في فتح هذه البلاد كما ارتد أهلها أكثر من مرة، إلا أن العرب استطاعوا استمالة البربر إليهم، وذلك بضمهم للجيش الإسلامي، فقد استعان بهم موسى بن نصير في فتح باقي بلاد شمال إفريقيا والأندلس، وكانت هناك عدة محاولات لفتح المناطق الجنوبية من إفريقية، فقد سار معاوية بن حديج على رأس جيش من قبل عثمان بن عفا، وذلك سنة 34هـ/654م بعدما تمكن عمرو بن العاص من فتح مصر وبرقة وطرابلس، إلا أن جيش معاوية لم يتمكن من ذلك، وقتل عدد كبير منهم كان ضمنهم الصحابي الجليل عبد الله بن أبي زمعة البلوي، الذي دفن بمنطقة جلولة بالقرب من القيروان.

* لمحة تاريخية:

يرجع فضل توطيد أركان الحكم الإسلامي في شمال إفريقيا إلى عقبة بن نافع، وخاصة بعد تأسيس مدينة القيروان سنة 55هـ/674م، التي اتخذها في مكان بعيد عن البحر لكي يتجنب خطر الأساطيل الرومانية التي كانت تجوب البحر المتوسط، وقام ببناء مدينة القيروان كقاعدة له، حيث أسس عقبة مسجد القيروان وسط المدينة إلى جانب دار الإمارة، وكانت المدينة محاطة بسور يتخلله 14 بابا، ولم يستطع عقبة القضاء على ثور البربر بقيادة ملكتهم داهية أو كما تعرف بالكاهنة والتي كانت تحكم قبائل البتر البربرية ولكن انتصر عليها في بعض المعارك، وكانت تغير على قبائل البرانس، لذلك فقد استنجد البرانس بحسان ابن النعمان، وتمكن من قتلها، وقام بعد ذلك بتوحيد البتر والبرانس، كما أنشأ في موقع مدينة تونس الحالية دارا لصناعة السفن مستعينا بصناع من مصر ونظم افريقية إداريا وأنشأ بها الدواوين.

الخريط رقم 02: دويلات القرن التاسع

ظلت بلاد المغرب تابعة للخلافة الأموية في دمشق، وعندما قامت الدولة العباسية انقسمت هذه البلاد إلى ثلاثة أقسام، وهي المغرب الأدنى ويشمل ليبيا وطرابلس، والمغرب والأوسط ويشمل إفريقية (تونس) والجزائر، والمغرب الأقصى ويشمل مراكش (المغرب)، وخلال هذه الفترة ظهرت حركات استقلالية عن الدولة العباسية، فقامت دولة الأغالبة في المغرب الأوسط وذلك سنة 185هـ/800م، الذين استطاعوا ضم صقلية ومالطة وسردينية إلى ملكهم، كما غزوا شواطئ فرنسا الجنوبية، وشواطئ إيطاليا، وينسب إليهم أقدم رباط في هذه المنطقة وهو رباط سوسة.

قامت بعد ذلك دولة الأدارسة عام 192هـ/807م واتخذوا من فاس عاصمة لهم، وامتد حكمهم حتى مدينة تلمسان، جنبا إلى جنب مع الدولة الرستمية التي تأسست عام 160هـ/776م وسط بلاد المغرب واتخذت من تيهرت عاصمة لها وعمرت 136 عام أي إلى غاية 296هـ/909م حيث سقطت على يد الدولة الفاطمية أبو عبيد الله الشيعي الفاطمي حيث عاث فيها فسادا وخربها وأحرق مكتبتها المعصومة.

وفي سنة 297هـ/910م قامت الدولة العبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي واستولت على جميع أملاك دولة الأغالبة، وقاموا بتأسيس مدينة المهدية عاصمة لهم، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مصر، حيث أسسوا الدولة الفاطمية، كما أنشأوا مدينة القاهرة عاصمة لهم، وقبل مغادرتهم بلاد المغرب عام 361هـ/972م وقع اختيار المعز لدين الله الفاطمي

على بنو زيري في شخص زعيمهم يوسف بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ليخلفهم في حكم بلاد المغرب، ولم يطل الأمر حتى تمرد بنو زيري حكام تونس على حكم الفاطميين وأعلنوا عن ولائهم للدولة العباسية، فأرسل إليهم الفاطميون قبائل بني هلال للانتقام منهم، وقد حدث مثل ذلك في الجزائر حيث تمردت أسرة بني حماد على الدولة الفاطمية، حيث وقع انشقاق في الدولة الزيرية في عهد المنصور بن يوسف أمير الدولة الزيرية، حيث ثارت قبيلة زناته فعقد لأخيه حماد بن بلكين على المسيلة وآشير، وطلب إليه قتال زناته وبعد قهرهم أقر باديس عمه حماد وحارب هذا الأخير زناته مرة ثانية واتخذ القلعة عاصمة له عام 398هـ/1007م وكانت بحق مدينة حافلة بالمعالم والمنشآت المهمة على صعيد المغرب كله ليعلن استقلاله عام 405هـ/1014م، وبعد أن انحصر نفوذهم في منطقة بجاية سقطت الدولة على يد الموحدين عام 1152م.

الخريط رقم 03: الدولة المرابطية

جمعت دولة المرابطين شتات هذه الدويلات المتفرقة، إذ قامت هذه الدولة سنة عام 448هـ/1057م واتخذت من مراكش عاصمة لها، ثم بسطت نفوذها على معظم شمال إفريقيا وجزء من بلاد الأندلس، ويرجع فضل تأسيس مدينة مراكش إلى يوسف بن تشفين، كما أنه انتصر على مسيحي الأندلس في أشبيلية عندما اشتبكوا مع المسلمين وكان ذلك في موقعة الزلاقة عام 480هـ/1087م، والتي وطدت حكم المسلمين في معظم بلاد الأندلس، تعرف هذه الفترة بالعصر المغربي الأندلسي، نظرا للإمتزاج الذي حدث بين بلاد المغرب والأندلس.

الخريط رقم 04: الدولة الموحدية

انتهت دولة المرابطين على يدي الموحدين، حيث أنه سنة 542هـ/1147م قتل الموحدون إسحاق بن تشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين آخر حكام المرابطين، وقامت دولة الموحدين، ونقلت العاصمة إلى مراكش، وأنشأوا في عاصمتهم الدينية **تينمل** جامعا وروضة، اشترك في بنائها معماريون من المغرب والأندلس، وقد حقق أبو يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين أعظم الانتصارات على ملك قشتالة في معركة الأرك في شعبا 591هـ/يوليو 1195م.

استمر حكم الموحدين وسطوتهم حتى انتهى ذلك في عهد المرتضى آخر حكام الموحدين، وكان ذلك سنة 666هـ/1266م، وخلفت دولة الموحدين دولة بني مرين، حيث استطاع عبد الحق تأسيس هذه الدولة، إلى أن توطدت أركانها في فترة حكم أبو يوسف يعقوب، واستمرت هذه الدولة تحكم أجزاء من بلاد المغرب الأقصى حتى عهد عبد الحق، والذي انتهت فترة حكمه سنة 871هـ/1466م، هذا في الوقت الذي كانت تحكم فيه بلاد المغرب الأدنى الدولة الحفصية، أما بنو زيان فحكموا المغرب الأوسط بداية من 633هـ/1235م على يد يغمراسن بن زيان واستمرت إلى غاية 960هـ/1554م.

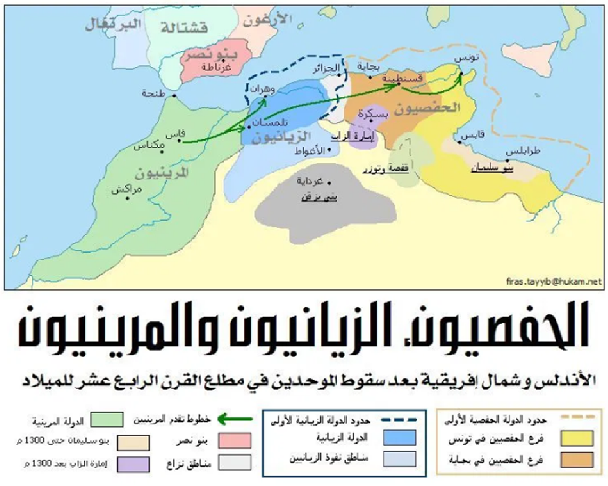

الخريط رقم 05: الدولة الحفصية ومن عاصرها

وفي الوقت الذي سقطت فيه كل من بلاد المغرب الأدنى والأوسط تحت حكم العثمانيين، فقد خلفت دولة بني مرين في المغرب الأقصى الدولة السعدية التي أسسها محمد بن أحمد الملقب بالقائم، الذي توفي سنة 923هـ/1517م.

استمرت الدولة السعدية حتى فترة حكم أحمد العباس، التي انتهت سنة 1069هـ/1658م، لتخلفها الدولة العلوية التي أسسها مولاي علي الشريف، والذي خلفه مولاي إسماعيل في الفترة من سنة 1083هـ/1672م حتى سنة 1140هـ/1727م لتكون هذه الدولة ركيزة للحكم الذي استمر في بلاد المغرب حتى الآن.

وفي هذا الوقت كانت تخضع بلاد المغرب الأدنى والأوسط للحكم العثماني، وقد قامت دول مستقلة استقلالا اسميا عن الدولة العثمانية، ففي إفريقية "تونس" قامت الدولة المرادية التي أسسها مراد باي سنة 1041هـ/1631م، وانتهت في عهد ابراهيم الشريف سنة 1114هـ/1702م، والدولة الحسينية التي بدأت سنة 1114هـ/1702م وحكمها حسن بن علي تركي واستمرت حتى 1362هـ/1943م، كما قامت في طرابلس الغرب الدول القره مانليه في سنة 1123هـ/1711م على أيدي أحمد باشا القره مانلي واستمرت حتى 1250هـ/1835م، لتبدأ بذلك مرحلة أخرى من الوجود العثماني في طرابلس، وهي ما تعرف بالعصر العثماني الثاني الذي استمر حتى 1330هـ/1911م، أما في الجزائر فحكموا بداية من عام 1518م بعد أن ألحقت بالخلافة العثمانية إلى غاية 1830م.

*** الطراز المغربي عبر التاريخ:**

انتقل مركز الإشعاع الثقافي في بلاد المغرب من الأندلس إلى مراكش منذ أن ضم المرابطون الأندلس إلى بلادهم عام 1090م، فكان ذلك إيذانا بتغيير أساليب الفنون الإسلامية في بلاد المغرب، وكان المرابطون أهل التقشف والبساطة فلم يلق الفن على أيديهم عناية كبيرة. ثم خلفهم الموحدون وهم الذين قام على يديهم الطراز المغربي الأندلسي في منتصف القرن 12م، ثم يظل يزدهر حتى بلغ ذروته في قصر الحمراء في غرناطة القرن 14م وتوقف تطوره منذ القرن التالي، ولكن مراكش ظلت وفية لهذا الطراز إلى الوقت الحاضر، وإن كان مظهره فيها لا يزيد على تقاليد الأساليب الفنية القديمة والمحافظة على مظهره وعلى تراث الصناع المسلمين في العصور الوسطى، ويلاحظ في الطراز المغربي أنه لم يتأثر بغيره من الطرز الإسلامية تأثيرا كبيرا، وإن تطوره كان بطيئا بالنسبة إلى تطور سائر الطرز الإسلامية، وكانت أهم المراكز الفنية لهذا الطراز إشبيلية وغرناطة ومراكش وفاس، ولم يأتي الطراز المغربي بالجديد فيما يخص تصميم المساجد فظل على ما عرفناه في القيروان وقرطبة متبعا في تصميم هذا الطراز، وبقى الصحن والإيوانات والمجاز العريض (القاطع) والمرتفع الذي يؤدي إلى المحراب في إيوان القبلة، ولكن انصراف القوم عن استعمال الأعمدة وأقبلوا على بناء الأكتاف من الطوب وهي مسننة الأركان أي غير دائرية، وعقود على هيئة حدوة الفرس مستديرة تماما أو مدببة قليلا، وكانت هذه العقود في معظم الأحيان منخفضة مما كان يكسب المساجد طابعا من الجلال والهيبة.

أما المنارات (المآذن) فكانت تبنى في معظم الأحيان من الطوب أيضا على شكل برج ذو قاعدة مربعة الشكل تعلوه شرفات كأسنان المنشار، ثم برج أصغر منه حجما، وفي جوانب البرج أو المنارة صفوف من النوافذ ذات الحليات المعمارية الجميلة، وكانت المنارة تشيد عادة في وسط الجهة المقابلة لإيوان القبلة، ولكنها كانت تقوم بجوار جدار المحراب، ومما يلاحظ أن بعض الجوامع في أنحاء العالم الإسلامي لها مئذنتان أو ثلاث أو أربعة، ولكن مساجد المغرب ليس لها إلا مئذنة واحدة، وخير مثل لهذه المنارات منار مسجد الكتبية في مراكش، وكانت المحاريب تعلوها قبة فوق مقرنصات، كما كانت واجهات المساجد تضم في معظم الأحيان مظلة من خشب تبرز فوقها، ويمكن القول بوجه عام أن المساجد في المغرب كانت تتألف من صحن داخلي واسع تحف به البوائك، وفي وسطه فسقية وقد يزين بالشجيرات والنباتات كما تكسى حوائط الأروقة بالموزاييك وفي بعض الأحيان بألواح من القيشاني.

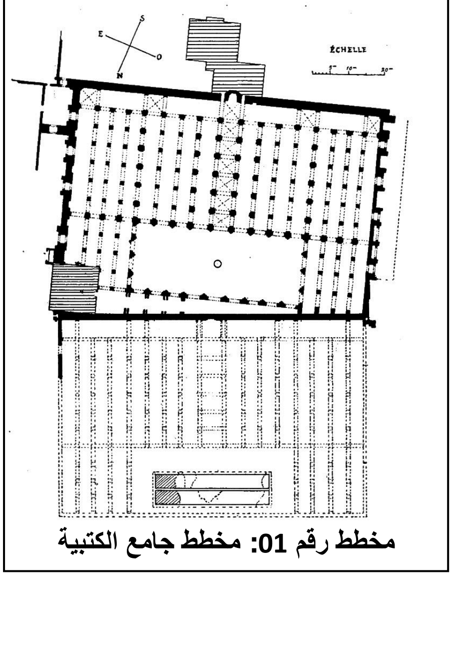

مخطط رقم 01: مخطط جامع الكتبية

أدخل السلطان الموحدي بن يعقوب المنصور بناء المدرسة في المغرب والأندلس في نهاية القرن 12م، ولكن المدارس في البلاد ظلت وقفا على التدريس، ولم تؤثر عمارتها على تصميم المساجد أي تأثير.

اشتهرت مدينة فاس بكثرة ما شيد فيها من المدارس في القرن 14م، كانت كل المدارس في المغرب وقفا على تدريس المذهب المالكي، فلم تكن قد تمت الحاجة للتفكير في تصميم أي مسجد يساعد على جمع الطلبة لغير هذا المذهب، وكان تصميم المدارس محققا للغرض المادي منها.

فكانت تشتمل غالبا على عدة غرف للطلاب وعلى قاعة كبيرة للدرس، وكان مبنى المدرسة مكون من طابقين وفي وسطه صحن مكشوف فيه فسقية أو حوض ماء، وكانت بعض المدارس متصلة بالمساجد والمجاورة لها، بينما كان البعض الآخر مستقلا وله محرابه ومنارته، والواقع أن أهم مباني المدارس المغربية إنما هو ما فيها من زخارف غنية ورسومات فنية هندسية.

وانتشرت في بلاد المغرب قبور الأولياء ومعظم القائم منها حتى الآن لا يرجع إلى قرون مضت، ولكن يظهر من أسلوب بنائه وقبته أنه منقول عن قباب أو أضرحة أقرب عهدا، وأكثر أنواع هذه القبور انتشارا يوجد في مدافن المدن على مقربة من أبوابها، ويتألف من قبة نصف كروية على قاعدة مكعبة، وقد تفصلها رقبة تقوم عليها القبة، وقد تكون جدران القاعدة مفتوحة من الجوانب بواسطة عقود على هيئة حدوة الفرس.

أما قبور الأمراء فكانت أكثر فخامة، وطبقت في قبابها الحلول التي استعملت في إقامة قباب المساجد، ولم يبق من قبور الأمراء إلا ما يعود للأشراف السعديين في مراكش في القرنين 16 و 17م، أما قبور ملوك غرناطة وبني مرين في فاس فلم يبق منها شيء.

تميزت حياة المرابطين بالتقشف، فلم يكن لهم قصور فخمة، وفي عهد الموحدين زادت العناية بالمباني الدينية، ولم يتركوا قصورا يمكن الاستدلال منها على نظام تخطيطها إلا بعض الأطلال في إشبيلية، أما أعظم قصورهم على الإطلاق قصر الحمراء بغرناطة الذي يعود إنشاؤه إلى يوسف الأول 1333-1353م ومحمد الخامس 1353-1391م.

أقيمت كذلك البيمارستانات والحمامات والأسواق والقيسريات، أما الأسواق والحصون فقد كانت العناية بها كبيرة في عصر الموحدين ومنها سور مدينة تلمسان وفاس القديمة بمراكش وفي عهد بني مرين أنشئت أسوار مدينة فاس الجديدة.

1. العمارة مع بداية الفتح:

عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج الكندي عن إفريقية واقتصر به على ولاية مصر، وولى إفريقية عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية وكان مولده في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مقيما بنواحي برقة بزويلة منذ ولاية عمر بن العاص له فجمع إليه من أسلم من البربر وضمهم إلى الجيش الوارد من قبل معاوية، وكان جيش معاوية 10 آلاف وسار إلى إفريقية ونازل مدنها فافتتحها عنوة ووضع السيف في أهلها وأسلم على يده خلق من البربر وانتشر فيها الإسلام حتى اتصل ببلاد السودان.

نظر عقبة في حال إفريقية نظر الحاذق البصير، فرأى أنه لا يستقيم لها أمر إلا باستقرار المسلمين فيها بصفة نهائية، لا كما فعل من سلفه من القادة، ويقول عقبة في هذا: إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجابه منهم لدين الله إلى الكفر، وأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكرا، وتكون عز الإسلام إلى آخر الدهر، فبنى لهم مدينة القيروان.

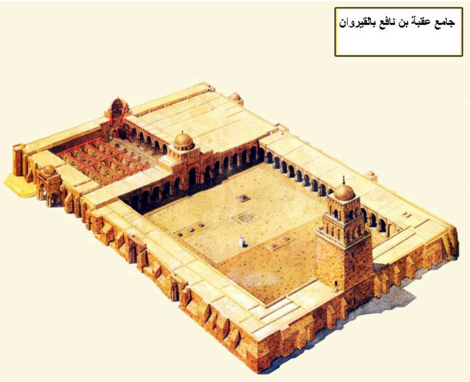

الشكل رقم 01: إعادة تصور لجامع القيروان

وقد رأى عقبة أن من أسباب تراجع المسلمين عن إفريقية هو طول خط المواصلات بينهم وبين أقرب مرتكز لهم وهو الفسطاط، فاستقر رأيه على أن خير وسيلة للاستقرار بالمغرب إنما تكمن في الاحتفاظ بجيش دائم، وأن ذلك يستدعي إنشاء مدينة جديدة تكون مقر عسكر المسلمين وموطن أهلهم، فاختار لذلك موقعا له ميزات عديدة من حيث الحرب والاقتصاد والمواصلات فأنشأ القيروان في رقعة تكفي لتموين حامية ومن معها، بعيدة عن الساحل بحيث لا ينالها الأسطول الرومي، وفي نفس الوقت تكون مواجهة لجبل أوراس الذي كثيرا ما قاوم سكانه الفاتحين من قبل.

وافق الصحابة رأي عقبة بن نافع، فجاءوا إلى موضع القيروان وهي في طرف البر وهي أجمة عظيمة وغيضة لا يشقها الحيات من تشابك أشجارها، وقد أمر عقبة أصحابه بالبناء، فقالوا: هذه غياض كثيرة السباع والهوام فنخاف على أنفسنا هنا، وكان عقبة مستجاب الدعوة فجمع من كان في عسكره من الصحابة وكانوا 18 ونادى: أيتها الحشرات والسباع نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارحلوا عنا فإنا نازلون فمن وجدناه بعد قتلناه، فنظر الناس يومئذ إلى أمر هائل، كان السبع يحمل أشباله والذئب يحمل أجراءه والحية تحمل أولادها خارجون أسرابا أسرابا، فحمل ذلك كثيرا من البربر على الإسلام.

شرع عقبة بن نافع في بناء القيروان في سنة 50هـ وابتدأ بتخطيط دار الإمارة، ثم عمد إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه، ولكنه لم يحدث فيه بناء.

يذكر ابن عذارى المراكشي أنه كان يصلي في موضع الجامع قبل أن يقوم ببنائه فاختلف الناس عليه في القبلة، وقالوا أن أهل العرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد، فاجهد نفسك في تقويمها، فأقاموا أياما ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس، فلما رأى أمرهم قد اختلف بات مغموما فدعا الله عز وجل أن يفرج عنه.

فأتاه آت في منامه، فقال له: إذا أصبحت فخذ هذا اللواء في يدك، واجعله على عنقك، فإنك تسمع بين يديك تكبيرا لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك..فانظر الموضع الذي ينقطع عنك فيه التكبير، فهو قبلتك ومحرابك، وقد رضى الله لك أمر هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة، وسيعز الله بها دينه، ويذل بها من كفر به...وبعد أن صلى ركعتي الصبح بالمسلمين وإذا به يسمع تكبير بين يديه، وسأل من معه هل تسمعون ما أسمع فقالوا لا فعلم أن الأمر من عند الله، فأخذ اللواء حتى وصل موضع المحراب فانقطع الآذان وركز لواءه وقال هذا محرابكم، فاقتدت به سائر مساجد المدينة.

لم يكن هذا المسجد أول الأمر إلا مساحة مسورة بسور سميك من اللبن على هيئة حصن، وليست هناك فكر عن بيت صلاته، فهو يماثل المساجد الأولى فقد كان بسيط البناء، صغير المساحة، ويغلب الظن أن أسقفه كانت تقوم مباشرة على الأعمدة دون أن تحملها عقود.

الصورة رقم 01: صورة قديمة لمدينة القيروان

وما لبثت المدينة أن عمرت بعد تخطيط الجامع بالدور ومختلف الأبنية والمساجد، وشد الناس إليها الرحال، وعظم قدرها، وتحقق الرجاء من بنائها وأصبحت بحق قاعدة للمسلمين في بلاد المغرب، ورغم أنها كانت في وسط الصحراء لم يمنعها انعزالها هذا من أن تنموا وتكبر، وإذا كان عقبة بن نافع قد عزل عنها فترة من الزمن إلا أنها استعادت عظمتها بعودته عام 62هـ/681م وظلت ما يقارب 400 عام على رأس مدن إفريقية والمغرب، وكان سور له 14بابا، وكانت سوقها متصلة بالمسجد من جهة القبلة وممتدة إلى باب يعرف باسم باب الربيع وذكر البكري أنه كان لهذه السوق سطح متصلة به جميع المتاجر والصناعات وأن هذا السطح قد تعرض لبعض التهدم، وأمر هشام بن عبد الملك بترميمه عام 105هـ.

تختلف القيروان عن المدن العربية السابقة عليها في التأسيس كالمدينة والبصرة والكوفة والفسطاط، في أن لكل قبيلة نزلت بها لم تكن تختص بمكان معين من المدينة، وبالتالي اختلطت القبائل ببعضها وتجنبت العزلة عن باقي القبائل عكس المدن السابقة.

تذكر المراجع أن مسجد القيروان هدم بعد 20 عاما من طرف حسان بن النعمان الغساني، ما عدا المحراب، حيث شيد مسجدا جديدا في موضع الجامع القديم فيما بين عامي 78-83هـ/693-697م وتم بناءه من الجهة الشمالية المقابلة للقبلة تجنبا لتغيير جدار المحراب، كما احتفظ بالمحراب، وحسب أحمد فكري فإن حسان زاد في عدد أروقته، وأن بيت الصلاة كان يشتمل على 04 أساكيب (أروقة عرضية)، ولم يكن للمسجد آنذاك مجنبات تطل على الصحن وتدور حوله.

بحلول عام 105هـ/724م ضاق الجامع بالمصلين، فأمر الخليفة هشام بن عبد الملك عامله على القيروان وقتئذ بشر بن صفوان 103-109هـ بزيادة المسجد فاشترى بشر أرضا محيطة بالمسجد من شماله، وضمها إليه، وبنى الصحن ماجلا (صهريجا للمياه)، وأضاف إلى بيت الصلاة 03 أروقة أخرى، مد بها طول بلاطاته، ويغلب على الظن أن بيت الصلاة في عهد بشر كان يتألف من 18 رواقا، ثم بنى بشر مئذنة المسجد في منتصف جداره الشمالي داخل الصحن، على بئر تعرف ببئر الجنان، ونصب أساسها على الماء.

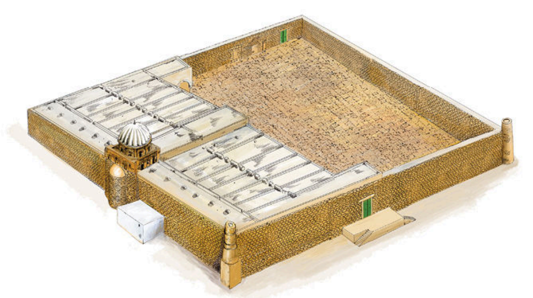

الشكل رقم 02: إعادة تصور لجامع الزيتونة

ويذكر ابن عذارى أن يزيد بن حاتم جدد بناء المسجد الجامع بالقيروان عام 157هـ/774م ولكن هناك من يرجح أنها كانت لا تعدو عن أعمال إصلاح وتجديد لبعض زخارفه.

بعد أن فتح حسان بن النعمان مدينة تونس عام 79هـ/688م أسس بها أول جامع، وفي سنة 114هـ/732م قام عبيد الله بن الحبحاب بإعادة بنائه، وكان يتكون في تلك الأيام من 04 أساكيب موازية لجدار القبلة، ويتوسط جدار القبلة محراب، وهو بذلك مشابه لتخطيط جامع القيروان الأول.